With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"فَيحي" هو النصّ الأسبوعي الثاني عشر والأخير من كتاب "بريشِيت"(سِفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعيّ بالآية الثامنة والعشرين من المَقطع السابع والأربعين وينتهي بالآية السادسة والعشرين من المقطع الخمسين.

النَّجَاةُ مِنَ الفَشَلِ وَالمُضِيُّ قُدُمًا

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

يُختتم سفرُ التكوين بمشهدٍ سامٍ من المصالحة بين يوسف وإخوته. فقد نزلَ إخوته إلى مصر بسبب المجاعة في أرض كنعان، كما ورد في الآية الأولى من المَقطع الثاني والأربعين من سفر التكوين، لكنّهم كانوا في أعماقهم خائفين ألّا يكون يوسف قد سامحهم حقًا على الذنب الذي اقترفوه بحقّه حين باعوه عبدًا، وأنّه قد أجّل انتقامه منهم حتّى موت أبيهم. وبعد موت يعقوف/يعقوب، عبَّرَ الإخوةُ عن مخاوفهم، لكنّ يوسف طمأنهم، كما ورد ابتداءً من الآية التاسعة عشرة وانتهاءً بالآية الحادية والعشرين من المَقطع الخمسين من سفر التكوين:

"لا تَخَافُوا، إِنِّي أَتَّقِي اللَّهَ فيكُمْ. أَنْتُمْ قَدَّرْتُمْ عَلَيَّ شَرًّا، وَاللَّهُ قَدَّرَ خَيْرًا، لِأَجْلِ أَنْ يُصْنَعَ ما تَرَونَهُ الْيَوْمَ، لِيَحْيَا قَوْمٌ كَثِيرُونَ. وَالآنَ لا تَخَافُوا، أَنَا أُمَوِّنُكُمْ وَأَطْفَالَكُمْ، فَعَزَّاهُمْ وَدَاراهُمْ".

وقد كانت تلك المرّة الثانية التي يُعبّر فيها يوسف عن هذه الفكرة. فحين كشف لهم عن نفسه أوّل مرّة، وأعلن أنّه لم يكن ذلك الرجل المصريّ المُهيب المعروف باسم "تْسَفنات پعانَيَاح" (أي موضّح الخفايا)، بل أخاهم يوسف، خاطبهم بكلماتٍ مشابهة، كما ورد ابتداءً من الآية الثالثة وانتهاءً بالآية الثامنة من المَقطع الخامس والأربعين من سفر التكوين:

"...أَنا يُوسُفُ، هَلْ عَدَا أَبِي باقٍ، فَلَمْ يُطِيقُوا أَنْ يُجَاوِبُوهُ، مِمَّا دُهِشُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ. حَتَّى قالَ لَهُمْ، تَقَدَّمُوا إِلَيَّ، فَتَقَدَّمُوا، فَقَالَ، أَنا يُوسُفُ أَخُوكُمْ، الَّذِي بِعْتُمُونِي إِلى مِصْرَ. وَالآنَ لا تَغْتَمُّوا، وَلا يَشْتَدُّ عَلَيْكُمْ، إِذْ بِعْتُمُونِي إِلى هَهُنَا، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ بِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ لِمَعِيشَةٍ. وَذَلِكَ، إِنَّ هاتَيْنِ سَنَتَيْ جُوعٍ قَدْ مَضَتَا فِي الْبَلَدِ، وَبَقِيَ خَمْسُ سِنِينَ، لَيْسَ فِيهَا زَرْعٌ وَلا حَصَادَ. فَبَعَثَنِي اللَّهُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ، لِيُصَيِّرَ لَكُمْ، بَقَاءً فِي الأَرْضِ، وَيُحْيِي لَكُمْ فَلِيتَةً عَظِيمَةً. وَالآنَ، لَيْسَ أَنْتُمْ بَعَثْتُمُونِي إِلى هَهُنَا، إِلَّا اللَّهُ، وَصَيَّرَنِي أُسْتَاذًا لِفِرْعَوْنَ، وَسَيِّدًا لِجَمِيعِ آلِهِ، وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ بَلَدِ مِصْرَ".

تُعَدُّ هذه اللحظة من اللحظات الحاسمة في تاريخ المعتقدات الدينية، لأنّها تؤسّسُ لمفهوم المغفرة، فهي أوّلُ لحظةٍ موثّقةٍ في النصوص المقدّسة يغفر فيها إنسانٌ لآخر ذنبًا اقترفه بحقّه. لكنها تؤسِّسُ أيضًا مبدأً آخر لا يقلّ أهميةً، وهو مبدأ العناية الإلهيّة. فليس التاريخ "كيس نفايات من الصدف العشوائيّة التي فُتِحت بفعل الريح"[1]، كما يقول الكاتب الأمريكي جوزيف هيلر، بل هو، على النقيض من ذلك، نسيجٌ مُحاك بخيوط الغاية والمعنى، تحبُكُه إرادةٌ إلهيّةٌ تعمل في الخفاء، فالله عزّ وجلّ هو الذي يدبّر الأمور خلف الكواليس. وذلك ما عبّر عنه شكسبير في مسرحية "هاملِت": "ثمّة يدٌ إلهيّة تُهذّب مصائرنا، مهما نحتناها نحن بخشونة بيدينا".[2] أي أنّ يد الله تعمل لتُهذّب نتائج أفعالنا، مهما بدا مصيرنا خشنًا أو عشوائيًّا.

إنّ عظمة يوسف تكمنُ في إدراكه لهذا الأمر. فقد فهم، في نهاية المطاف، أنّ لا شيءَ في حياته كان عبثًا. لا تآمر إخوته عليه لقتله، ولا بيعه عبدًا، ولا افتراء زوجة پوتيفار عليه، ولا سنوات سجنه، ولا خيبة أمله حين نسيه رئيس سقاة فرعون بعد أن وعده بالتوسّط لإطلاق سراحه... لم يكن أيٌّ من ذلك عبثًا، بل كانت جميع هذه الاحداث خطواتٍ لا بدّ منها في الرحلة التي جعلته الرجل الثاني في مصر بعد فرعون نفسه، والوحيد القادر على إنقاذ البلاد، وإنقاذ أسرته من المجاعة.

كان يوسف يتحلّى أكثر من غيره بإحدى أبرز الهبات التي لا غنى عنها في القائد الحقيقي، وهي القدرة على الاستمرار والثبات رغم المعارضة، والحسد، والافتراء، والانتكاسات المتكرّرة. فكلّ قائدٍ يتمسّك بمبدأ أو قضيةٍ، لا بدّ أن يواجه مقاومةً ومعارضة. وهذه المعارضة قد تنبع من تضاربٍ حقيقيّ في المصالح؛ فعندما يُنتَخَبُ القائدُ من أجل جعل المجتمع أكثر عدلًا، سيكسب حتمًا دعم الفقراء وعداء الأغنياء. والقائد الذي يُنتخب لتخفيض العبء الضريبي سينتهي به الأمر إلى فعل العكس تمامًا. فمثل هذه التناقضات لا مفرّ منها، إذ إنّ السياسةَ بلا صراع ليست سياسة.

وكلّ من يَبرز كقائد، أو يُحبّه الناس أكثر من غيره، أو يتمتّع بموهبةٍ تفوق الآخرين، سيحسدونه لا محالة، وسيتساءل خصومه: "لماذا لم أكن أنا القائد؟". وهذا تمامًا ما فكّر فيه قورَح/قارح حيال نبي الله ورسوله موشيه/موسى وأخيه أهارون/هارون. وهو ما راود إخوةَ يوسف عندما رأوا أنّ أباهم يحبّه أكثر منهم. وهو أيضًا ما دار في خُلد أنطونيو ساليري، الموسيقي الإيطاليّ، حين قارَن موهبته بموهبة موزارت المتفرّدة، وفقًا للمسرحية الشهيرة "أماديوس" لپيتر شافِر.

أما بالنسبة للافتراءات الباطلة، فقد تكرّرت كثيرًا عبر التاريخ. إذ اتُّهِمَت جان دارك بالزندقة، وأُحرِقت حيّةً على العامود، ثم أُعلن عن براءتها بعد خمسٍ وعشرين سنة في محكمة تحقيق رسميّة. وفي واقعةٍ أخرى، أُعدِم أكثر من عشرين شخصًا في محاكماتِ السحر الشهيرة في بلدة "سالم" بين عامَيْ 1692 و1693. وبعد سنوات، وحين بدأت براءتهم تتجلّى، قال القسّ يوحنّا هيل – وكان شاهدًا على تلك المحاكمات – قوله المؤثّر: "لقد كانت عتمةَ ذلك الزمان شديدة، حتى إنّنا كنّا نمشي في الضباب، لا نُبصِر طريقنا".[3]

أمّا أشهر تهمةٍ باطلة في العصر الحديث، فهي تلك التي وُجِّهت إلى ألفريد دريفوس، الضابط الفرنسيّ من أصولٍ يهوديّة، حين اتُّهِم بالتجسّس لصالح الألمان. وقد هزّت "قضيّة دريفوس" فرنسا كلّها، وامتدّت بين عامَي 1894 و1906، حتى صدر أخيرًا حكم ببراءته.

---

1. Joseph Heller, Good as Gold (New York: Simon & Schuster, 1979), 74.

2. Hamlet, act 5, scene 2.

3. Quoted in Robert A. Divine et al., *America Past and Present*, vol. I (Pearson, 2001), 94.

والانتكاساتُ هي أيضًا جزءٌ لا يتجزّأ من سيرة أعظم الناجحين. ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك، الكاتبة ج. ك. رولينغ، التي رَفَضَ اثنا عشر ناشرًا روايتها الأولى من سلسلة "هاري بوتر" قبل أن تُنشَر أخيرًا. وقد واجه كتابٌ آخر في أدب الأطفال إحدى وعشرين رَفضًا، وكان هذا الكتاب هو "أمير الذباب" للكاتب وِليَام غولدينغ، الذي فاز لاحقًا بجائزة نوبل للآداب. وفي خطابه الشهير في حفل تخرّج بجامعة ستانفورد، تحدّث ستيف جوبز، المؤسس الراحل لشركة "أبل"، عن ثلاث ضرباتٍ وجّهها إليه القدر شكّلت حياته، وهي تركه للجامعة، وطرده من شركة "أبل" التي أسّسها هو، وإصابته بسرطان البنكرياس. لكنّه لم يستسلم لأيٍّ منها، بل حوّلها كلّها إلى مصادر إبداعٍ وتجديد.

لقد عشتُ اثنتين وعشرين سنة قرب شارع "آبي رود" في شمال لندن، حيث سجّلت فرقةٌ غنائيّةٌ شهيرة معظم أغانيها الخالدة. وفي أوّل تجربة أداء لهم أمام إحدى شركات التسجيلات، رفضتهم الشركة قائلةً لهم إنّ "فرق الجيتار في طريقها إلى الزوال!". وكان التقييم الرسمي لأدائهم، في يناير عام 1962، هو: "فرقة ذا بيتلز (The Beatles) لا مستقبل لها في عالم الموسيقى".

كلّ هذه الحكايات تُفسِّرُ مقولة ونستون تشرشل العظيمة: "النجاح هو الانتقال من فشلٍ إلى فشل دون أن تفقد حماسك".

وربّما ما يُبقي بعضَ الناس صامدين في وجه الانتكاسات المتكرّرة، هو إيمانُهم بأنفسهم، أو صلابتهم الداخلية، أو ببساطةٍ عدم وجود بديلٍ آخر أمامهم. أمّا ما منحَ يوسف القدرة على الصمود، فهو وعيه العميق بعناية الله عزّ وجلّ. لقد كان يدرك أنّ ثمّة خطّة إلهيّة تنسج خيوطها، ورغم أنّه لم يكن يرى ملامحها الكاملة، إلّا أنّه، في لحظةٍ ما، بدأ يُدرك أنّه يلعب دورًا ضمن مشهدٍ أعظم بكثير، وأنّ كلّ ما ألمَّ به من مآسٍ كان ضروريًّا لكي تتحقّق النهاية المنشودة. وهو ما يُلخصه قوله لإخوته: "وَالآنَ، لَيْسَ أَنْتُمْ بَعَثْتُمُونِي إِلى هَهْنَا، إِلَّا اللَّهُ".

إنّ الاستعداد لترك الأحداث تأخذ مجراها وفقًا للمشيئة الإلهيّة، والفهم العميق بأنّنا لسنا المؤلّفين الوحيدين لقصص حياتنا، بل مجرّد مشاركين في كتابتها، هو ما مكّن يوسف من النجاة من الاستغراق في أحزان الماضي، أو السقوط في اليأس من المستقبل. لقد منحته ثقته بالله عزّ وجلّ وتوكّله عليه قوّةً هائلة، وهي تمامًا ما يحتاجه كلّ قائدٍ إذا أراد أن يُقدِم على المجازفات العظيمة. ومهما كان حجم الأحقاد التي يكنّها الآخرون تجاه القادة – التي تزداد كلّما ازداد نجاحهم – فإنّهم إن استطاعوا أن يقولوا: "أَنْتُمْ قَدَّرْتُمْ عَلَيَّ شَرًّا، وَاللَّهُ قَدَّرَ خَيْرًا"، فسيظلّون صامدين في وجه الصعاب، بقوّةٍ لا تتزعزع، وعزيمةٍ لا تضعف.

Arabic Translation *by The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion*